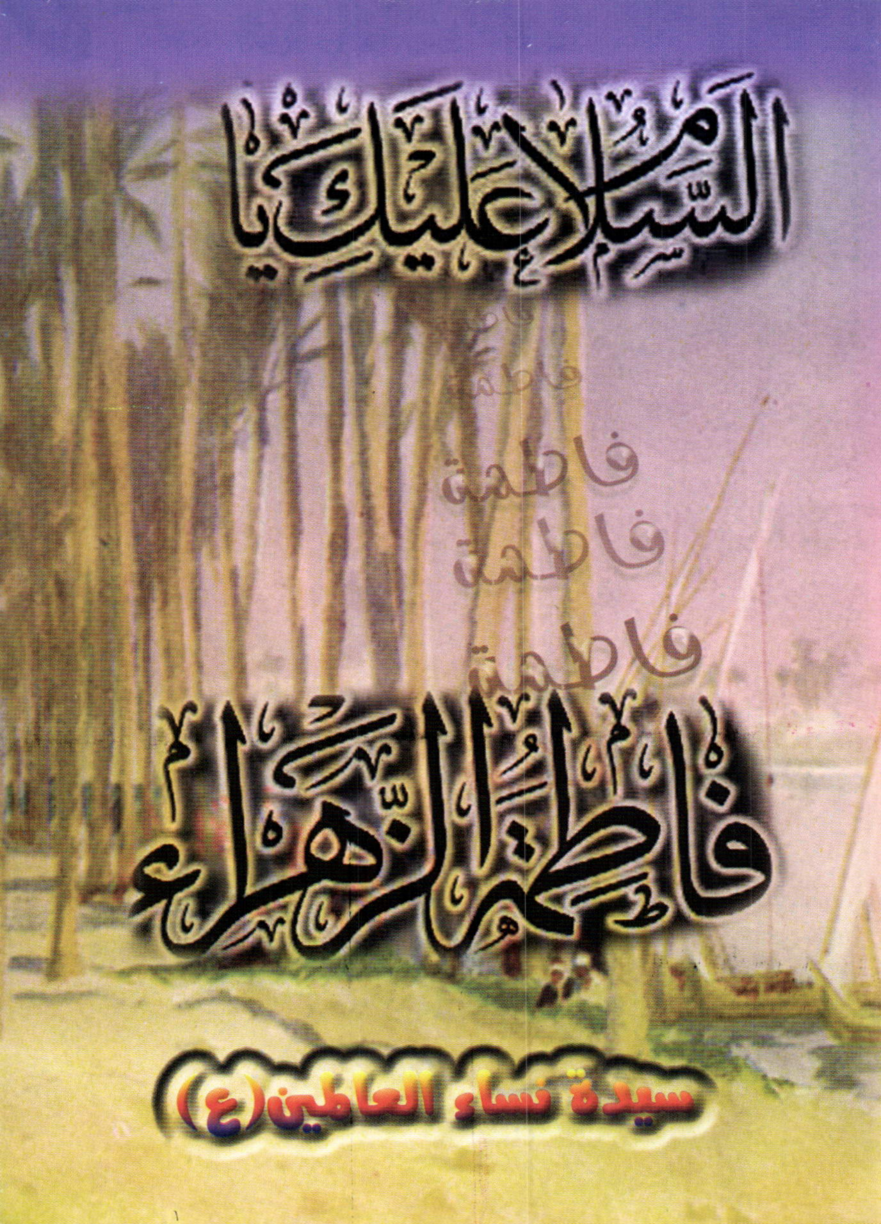

السلام عليك يا
فاطمة
فاطمة
فاطمة
فاطمة الزهراء
سيدة نساء العالمين (ع)

اسم القصة: سيدة نساء العالمين(ع)
اسم السلسلة: السيرة الفاطمية(ع)
إعداد :أمل طنانة
مراجعة وتصحيح: نضال علي
رسوم: سعيد عبد الساتر
إخراج وتنفيذ: محمد الناصري
الناشر: مؤسسة الأعلمي

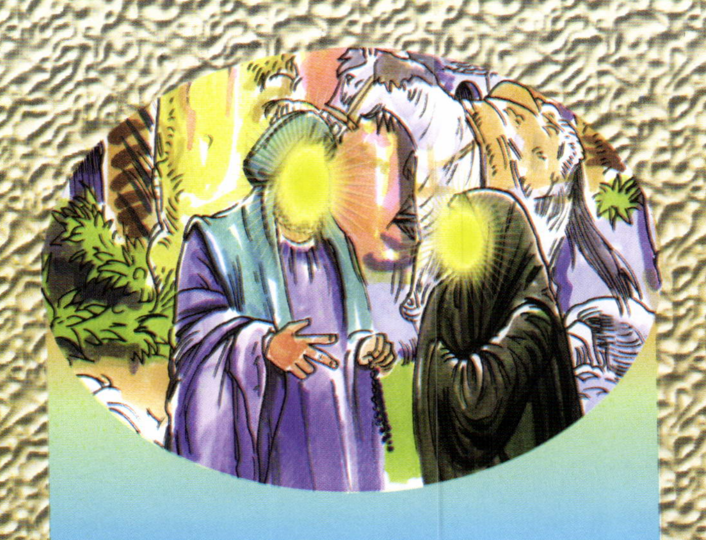
الطبعة الأولى
١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م

مؤسسة الأعلمي للمطبوعات
بيروت - طريق المطار - قرب سنتر زعرور
هاتف: ٠١/٤٥٠٤٢٦ - فاكس: ٠١/٤٥٠٤٢٧
صندوق بريد: ٧١٢٠

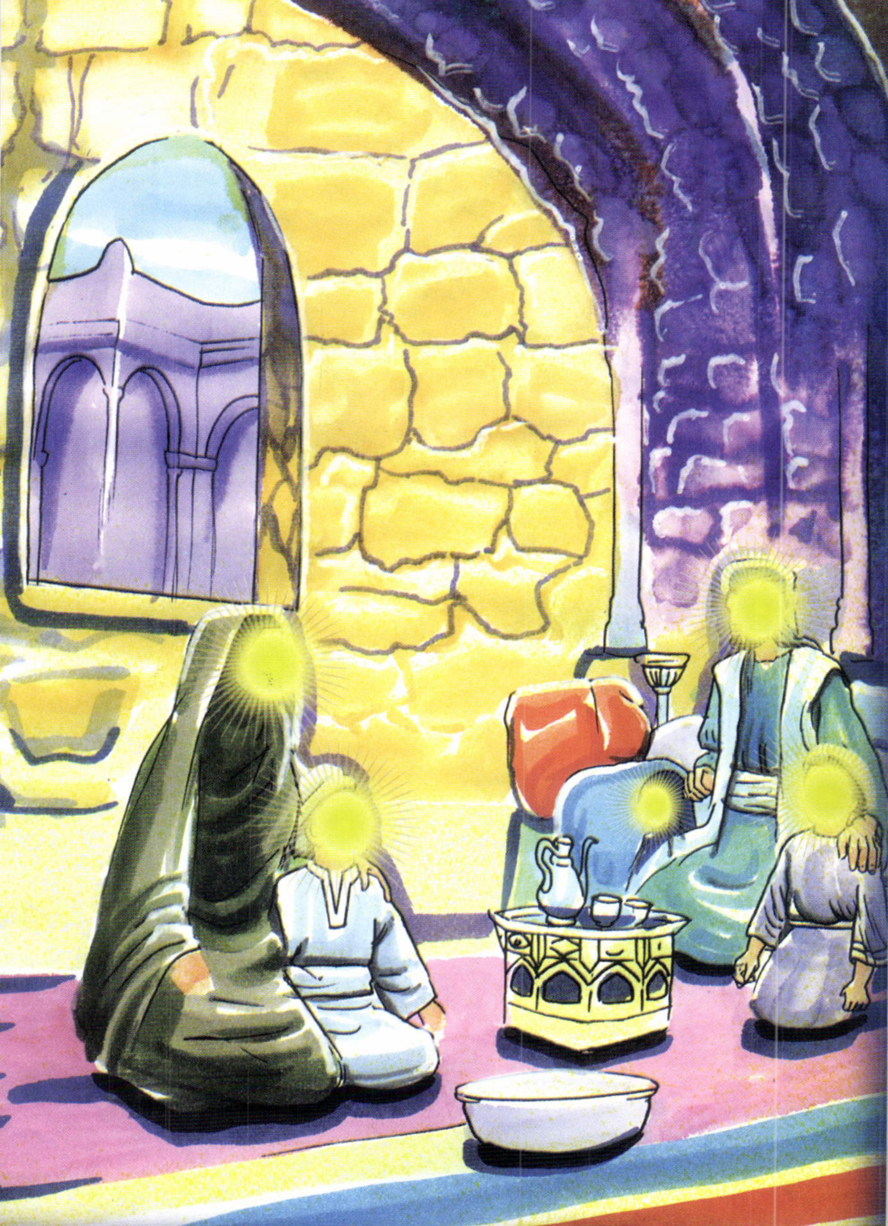
Published by Aalami Est
Beirut Airport Road
Tel:01/4504526 Fax:01/450427
P.O.Box.7120

www.alaalami.com
E-mail:alaalami@yahoo.com

سلسلة السيرة الفاطمية(ع)



سيدة نساء العالمين(ع)

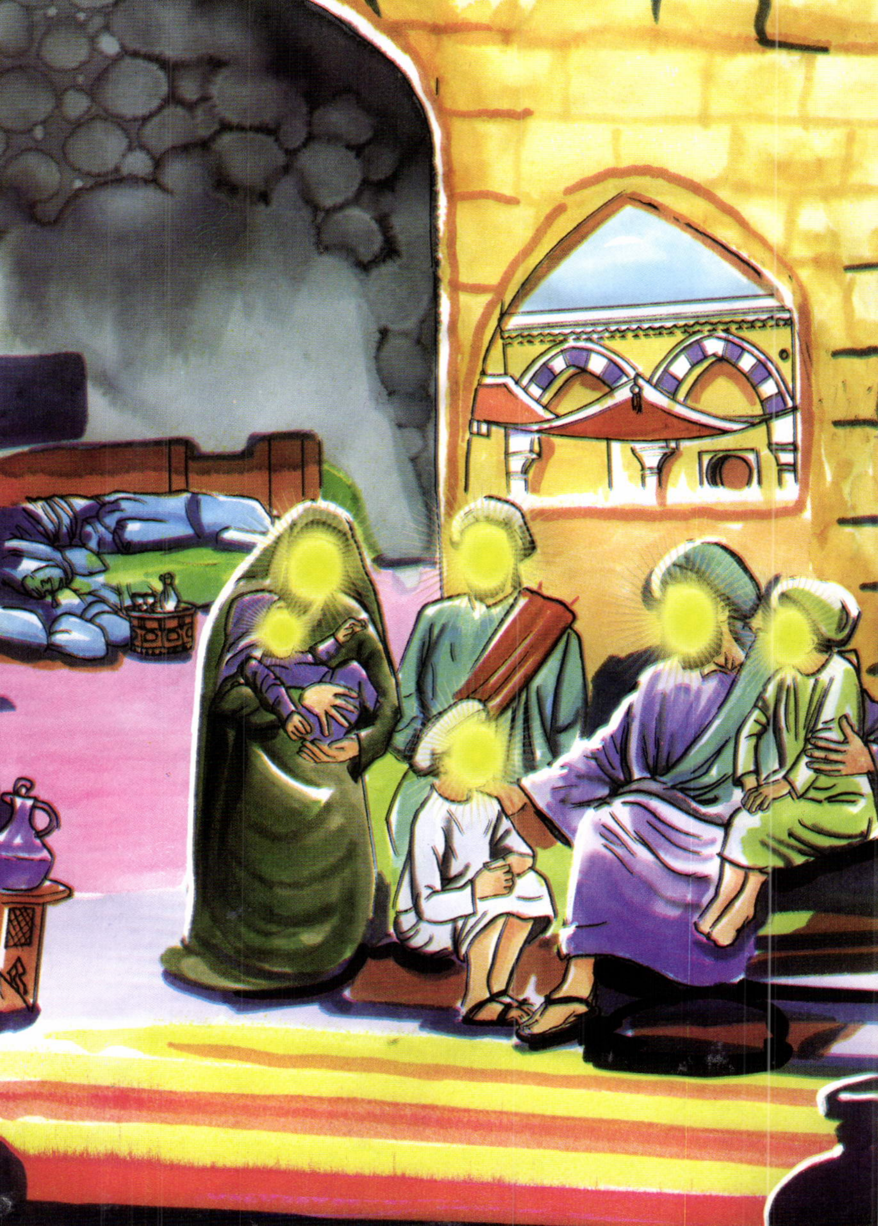


إنتقلتِ الزّهراءُ عليها السّلامُ إلى بيتِ زوجِها الّذي شاءَ اللهُ سبحانَهُ أن لا يكونَ على الأرضِ من يُوازي منزِلَتَها سواهُ.

فهوَ عليٌّ أخو النّبيِّ صلّى اللهُ عليهِ وآلِهِ وسلّمَ، عظيمُ الشّأنِ في الدُّنيا وفي الآخرةِ، الّذي رفعَ اللهُ سبحانَهُ منزلَتَهُ وأعلاهُ، فما زادَهُ ذلكَ إلاّ زُهداً وترفّعاً عنِ الدُّنيا وحُطامِها.

وها هوَ معَ بنتِ أشرفِ الخلقِ والمرسلينَ، سيّدةِ نساءِالعالمينَ يُسطِّرانِ في ازدراءِ المالِ والمتاعِ أروعَ الأمثلةِ، ليكونا مدرسةً قائمةً بذاتِها، تعلّمُ البشرَ على مرِّ الزّمانِ، أنْ لا شيءَ يعلو على الدّينِ والخُلُقِ والإيمانِ.

ما كانَ أسعدَ البتولَ(ع) وهي تُنشِئُ أطهرَ أُسرةٍ في الكونِ، بعدَ أن أنجبَتْ أبناءَها الطّاهرينَ المطهَّرينَ الحسنَ الزّكيَّ، والحسينَ الشَّهيدَ، والعقيلةَ الحوراءَ زينبَ وأُمَّ كلثومٍ(ع).



بِهؤلاءِ الأبناءِ قَرَّتْ عينُ النّبيِّ (ص)، وتهيّأَتْ لهُ سعادةٌ عارمةٌ وهو يرى أبناءَهُ، أولادَ عليٍّ وفاطمةَ (ع) أحبِّ النّاسِ إلى قلبِهِ، يدرجونَ على هذه البسيطةِ لينهَلوا من مواردِ النّبوّةِ المقدّسةِ، ويستقوا من أطهرِ مَعينٍ أوجدَهُ اللهُ سبحانَهُ على هذهِ الأرضِ منذُ الأزلِ.

أمّا عليٌّ (ع) فمن كانَ يعادلُهُ فرحةً! وقد قدّرَ اللهُ سبحانَهُ أن تمتزجَ دماؤُهُ بدماءِ النّبيِّ (ص)، وأن يودَعَ في ذرّيّتهِ ذرّيّةَ النَّبيِّ (ص) وتكونَ لهُ دونَ أهلِ الأرضِ جميعاً أُبوّةُ آلِ بيتِ محمّدٍ (ص) والمصطفينَ من بينِ الخلائقِ.

كانتْ هذهِ هيَ السّعادةَ الحقيقيّةَ في نظرِ عليٍّ (ع) وفاطمةَ البتولِ (ع)، وكلُّ ما عدا ذلكَ فهوَ وَهْمٌ زائلٌ، وغبارٌ تلهو بهِ الرّيحُ.



ولكـــنْ، كيفَ كانتِ البتـــولُ(ع) تعيشُ تلكَ الحياةَ الأُسَرِيَّةَ الفذّةَ؟ وما الّذي أرادتْ أنْ تُعلِّمَهُ للنّاسِ جميعاً من بعدِ ذلكَ؟

كانـــتْ فاطمةُ(ع) تطحَنُ القمحَ بيدِها لتخبزَ لأولادِهـــا، وكانتْ تســـتقي بالقِربَـــةِ، وتنظّفُ البيتَ بنفسِـــها، وتوقِـــدُ الحطَبَ تحـــتَ قُدورِ الطّعـــامِ، وتطهو وتغســـلُ الملابسَ، رغمَ نحولِ جسمِها وما كانَ يعتريها من ألمٍ ومشقّةٍ. فَعَلامَ دلّها أبوها النّبيُّ(ص) حينَ شَـــكَتْ إليهِ ما كانَ ينالُها من تَعَبٍ ومَشَقَّةٍ؟

قالَ لها:" إذا أويتِ إلى فراشِكِ، تسبّحينَ اللهَ تعالـــى ثلاثاً وثلاثينَ، وتحمُدينَـــهُ ثلاثاً وثلاثينَ، وتكبّرينَهُ أربعاً وثلاثينَ.".

نعـــم. فما كانَ النّبيُّ(ص) يريدُ لابنتِهِ على حياةِ الشَّـــظَفِ والتّقشُّـــفِ أن تـــزدادَ إلاّ إيمانـــاً، وصبراً، وتحمّلاً، ليقولَ لها :" تجرّعي يا فاطمةُ مرارةَ الدُّنيا لحلاوةِ الآخرةِ.".



إذاً كانـتِ الحيـاةُ صعبةً وشـاقّةً، ولكنْ في ظلِّ حنـانِ أبٍ كالنّبـيِّ(ص) وزوجٍ مثـلِ عليٍّ(ع) لا يمكنُ لامرأةٍ رقيقةِ الشّعورِ كالزّهراءِ(ع) إلاّ أن تجدَ أقصى ما تبحثُ عنهُ من سعادةٍ وهناءٍ.

كانـتِ الزّهـراءُ(ع) تنظـرُ إلى أبيهـا وهو حاملٌ حفيدَيهِ، يشـبِعُهُما لثماً وضمّاً، فتنسـى كلَّ ما في الحياةِ من مشاقَّ ومصاعبَ.

أمّا المشـهدُ الّـذي اعتادَ النّاسُ علـى رؤيتِهِ في المدينةِ، فهو مشهدُ الحسنَينِ(عليهِما السّلامُ) وهما يدرُجـانِ خلـفَ جدِّهمـا، يلحقانِ بـهِ إلى حيثُ يذهـبُ، حتّـى إذا دخـلَ (ص) المسـجدَ ليـؤُمَّ المؤمنينَ، وَجَدَهما قادِمَيْنِ يمشـيانِ ويعثُرانِ، وهما ينادِيانِهِ:" جدّاهُ. ". أو:" يا أبتي!. ".

فيهـرَعُ النّبـيُّ(ص) نحوَهُمـا، لِيغمُرَهُمـا حُبّـاً وعطفـاً، بعـدَ أن عوّضَهُ اللهُ سـبحانَهُ عن كلمةٍ لم يُمهلْهُ القدرُ كي يسمَعَها من أبنائِهِ الذّكورِ من قبلُ.

فيسـمعُهُ النّاسُ وهـو يقولُ:" ولدايَ هذانِ سـيّدا شبابِ أهلِ الجنّةِ.".



لـــم تكنْ عاطفةُ النّبيِّ (ص) نحوَ ابنتِهِ البتولِ (ع) مألوفــةً لدى النّـــاسِ، إذ لـم تعفُ الأيّـــامُ الّتي كانَ الجاهليّــونَ فيها يئِـدونَ الفتياتِ، خشــيةً من العارِ الّذي يمكنُ أن تُلحِقَهُ الأنثى بقبيلَتِها.

لقد حرّمَ الإســلامُ هذهِ العادةَ الشّــنيعةَ، وكرّمَ المــرأةَ تكريماً لـــم يعرفْهُ الزّمانُ، ولكــنْ لم يَظُنَّ النّاسُ أنّ هذا التّكريمَ ســيصِلُ إلـــى ما يرونَهُ من عاطفةِ النّبيِّ (ص) نحوَ ابنتِهِ فاطمةَ (ع).

لقـــدْ أقبلَـــتِ الزّهـــراءُ (ع) مرّةً نحـــوَ أبيها (ص)، ووقفــــتْ بينَ يديـــهِ، فنظرَ إليها ليرى صفـــرَةَ التّعبِ والجوعِ. فقالَ (ص) لها: " ادني منّي يا فاطمةَ.".

فدنـــتْ حتّى قامَتْ بينَ يديهِ، ورفعَ يدَهُ الشّـــريفةَ حتّى وضَعَهـــا موضِعَ القلادةِ، وفرّجَ بينَ أصابِعِهِ ثمّ قـــالَ:" اللّهُمّ مُشــبعَ الجماعةِ، رافـــعَ الضّيقِ، إرفعْ فاطمةَ بنتَ محمّدٍ.".

لقـــد كانَ في المحبّةِ النّبويّةِ لدى رســـولِ اللهِ (ص) نحـــوَ ابنتِهِ، كرامةً للمرأةِ المســـلمةِ فـــي كلِّ مكانٍ وزمانٍ.



مضتِ الأيّامُ، وتعاقبتِ السّــنونُ، والزّهراءُ(ع) تنعُمُ برؤيةِ النّورِ المحمّديِّ يضيءُ كلَّ يومٍ في بقعةٍ جديدةٍ مــن الأرضِ، وزوجُها عليٌّ(ع) يســاندُ أباها بســيفِهِ وبسالتِهِ، فيجرّعُ أعداءَ دينِ اللهِ الهزيمةَ تلوَ الهزيمةِ!

كلُّ هــذا والبتــولُ(ع) لا تفتأُ في كلِّ يومٍ تُضيفُ إلــى مكرماتِها الرّفيعةِ قصّةً جديــدةً، بما لا يمكنُ لكتابٍ أن تتّسعَ لها صفحاتُهُ!

أليســتْ هيَ الزّهراءُ الحوريّةَ الإنسيّةَ الّتي خصَّها اللهُ سبحانَهُ دونَ أخواتِها بِحَمْلِ ذرّيّةِ النّبوّةِ، لِتكونَ أُمّاً للأئمّةِ وسيّدةً لنساءِ العالمينَ؟

وشــاءَ اللهُ ســبحانَهُ لأعمالِ الزّهراءِ(ع) أنْ تُخلّدَ فــي القرآنِ الكريمِ، كــي تظلَّ تتردّدُ فــي كلِّ دارٍ ومســجدٍ، فتكــونَ خيــرَ معلّمةٍ للبشــرِ على مدى الزّمانِ.



مـنَ الآيـاتِ الكريمـةِ الّتـي تناولَـتْ سـيرَةَ الزّهراءِ(ع) ما وردَ في سـورةِ الدّهرِ، بقولِهِ تعالى: {إنّ الأبرارَ يشـربونَ مـن كأسٍ كانَ مزاجُها كافورا، عيناً يشـربُ بها عبادُ اللّهِ يفجّرونَهـا تفجيرا} حتّى قولِ اللّهِ تعالى: (وكانَ سعيُكم مشكورا).

إذ مرِضَ الحسـنُ والحسينُ(ع) مرّةً، فنذَرَ الإمامُ عليٌّ(ع) والسّـيّدةُ الزّهراءُ(ع) وجاريتُهُما فضّةُ أنْ يصومـوا ثلاثـةَ أيّـامٍ إن برِئا. فشـفى اللّهُ سـبحانهُ الحسنينِ(ع).

لـم يكنْ في بيتِ الإمـامِ(ع) في ذلكَ الوقتِ طعامٌ للإفطارِ. فاستقرضَ ثلاثةَ أصوُعٍ من شعيرٍ، طحنـتِ الزّهـراءُ(ع) منهـا صاعـاً، واختبزَتْ خمسـةَ أقـراصٍ علـى عـددِ مَـنْ فـي البيتِ، ووضعَتْ هـذهِ الأقراصَ بينَ أيديهـم ليُفطِروا. وقبـلَ أن يذوقوا شـيئاً منَ الطّعـامِ، طَرَقَ البابَ سائلٌ يتضوّرُ جوعاً!

فارتدّوا جميعاً عنِ الإفطارِ وقدّموهُ للسّائلِ! وباتوا ليلتَهُم منِ دونِ أن يذوقوا! إلا الماءَ!



وفي اليومِ التّالي فعلتِ الزّهراءُ(ع) ما فعلَتْهُ في اليومِ السّابقِ، فخبزَتِ الأقراصَ الخمسةَ،وقدّمَتْها إلى مَنْ في البيتِ. وقبلَ أن يتناولوا شيئاً منها طرقَ بابَ البيتِ يتيمٌ، فآثروهُ على أنفسِهِم، وقدّموا لهُ طعامَهُم، ثمّ باتوا ليلَتَهُم على شُربةِ ماءٍ!

وفي اليومِ الثّالثِ تكرّرتِ الحادثةُ. وطرقَ بابَهُم أسيرٌ، فآثروهُ على أنفسِهِم أيضاً، وباتوا ليلَتَهُم جائعينَ.

وفي الصّباحِ نزلَ جبريلُ(ع) يهنّئُ النّبيَّ(ص) بأهلِ بيتِهِ، ويبشّرُهُ بما أعدَّهُ اللهُ سبحانَهُ لهُم في فسيحِ جنّاتِهِ من جزاءٍ.

ليستْ هذهِ الآيةُ هيَ الآيةَ الوحيدَةَ الّتي تخلّدُ أفعالَ الزّهراءِ(ع)، لكنّها تلخّصُ مكانتَها عندَ اللهِ سبحانَهُ، وما أعدَّهُ لها من منزلَةٍ عظيمةٍ لا تُدانى.



أمّا حادثةُ العقدِ فما هيَ بغريبةٍ عنْ خلُقِ الزّهراءِ(ع)، تلكَ الحادثةُ الّتي لا تضيفُ إلى ما عُرِفتْ بهِ بنتُ النّبيِّ(ص) شيئاً منَ الزُّهدِ والإيثارِ، ولكنّها جديرةٌ بأن تُروى لما فيها منَ العبَرِ والعظاتِ.

بعدَ أن أمَّ النّبيُّ(ص) المسلمينَ في صلاةِ العصرِ، وجلسَ وجلسوا حولَهُ، أقبلَ رجلٌ منَ العربِ بائسٌ فقيرٌ، قد تهلهلَ ثوبُهُ، وتعثّرَتْ خُطاهُ من شدّةِ الجوعِ.

فسألَهُ النّبيُّ(ص) عن حالِهِ، فقالَ الرّجلُ:" يا نبيَّ اللهِ أنا جائعُ الكبدِ فأطعِمْني، وعاري الجسدِ فاكسُني، وفقيرٌ فأرشني(أحسنْ إليَّ)."

لم يكنِ النّبيُّ(ص) في تلكَ اللّحظةِ يملكُ ما يعطيهِ للرّجُلِ، فأرسَلَهُ إلى بيتِ ابنتِهِ فاطمةَ(ع) وصهرِهِ عليٍّ(ع).

كانَ بيتُ الزّهراءِ(ع) ملاصقاً لبيتِ النّبيِّ(ص) الّذي ينفردُ فيهِ بنفسِهِ. فذهبَ الرّجلُ إلى حيثُ أرسَلَهُ النّبيُّ(ص) طالباً العونَ من فاطمةَ(ع).



كانَ بيتُ الزّهراءِ(ع) في ذلكَ الوقتِ خالياً منَ الطّعامِ، فلم تجِدْ سوى جلدِ كبشٍ ينامُ عليهِ ولَداها الحسنُ والحسينُ(ع)، فحملَتِ الجلدَ وقالتْ:"خذْ يا أيُّها الطّارقُ، فعسى اللهُ أن يرتاحَ لكَ ما هوَ خيرٌ منهُ.".

فقالَ الرّجلُ:" يا بنتَ محمّدٍ، شكوتُ إليكِ الجوعَ، فناولتِني جلدَ كبشٍ؟ ما أنا صانعٌ بهِ معَ ما أجدُ منَ السّغبِ(الجوع)؟.".

فعمدتِ الزّهراءُ حينَها إلى عقدٍ كانَ في عنُقِها، هو هديّةٌ من فاطمةَ بنتِ عمِّها حمزةَ بنِ عبدِ المطّلبِ، فقطعتِ العقدَ من عُنُقِها، ثمّ رمَتْ بهِ إلى الأعرابيِّ، وقالتْ:" خُذهُ وبِعْهُ، فعسى اللهُ أن يعوِّضَكَ بهِ ما هوَ خيرٌ منهُ.".

فحملَ الرّجلُ العقدَ، وانطلقَ بهِ إلى حيثُ النّبيُّ(ص)، وحينَ رآهُ (ص) بكى.

فقامَ عمّارُ بنُ ياسرٍ(رضيَ اللهُ عنهُ)وقالَ: "يا رسولَ اللهِ! أتأذنُ لي بشراءِ العقدِ؟".



قـــالَ النّبيُّ (ص): " إشـــترِ يا عمّارُ. فلوِ اشـــترَكَ فيهِ الثّقلانِ ما عذّبَهُمُ اللهُ بالنّارِ.".

فاشـــترى عمّارٌ العقدَ، وأعطى الرّجلَ ثمنَهُ، فأكلَ حتّى شبعَ، واشترى ما يحتاجُ إليهِ، حتّى استغنى، ثمّ دعا للزّهراءِ (ع)، ومضى في سبيلِهِ.

بعـــدَ ذلـــكَ عمـــدَ عمّـــارٌ إلـــى العقـــدِ فطيّبَهُ بالمِســـكِ، ولفّهُ في بُردةٍ يمانيّةٍ، وأرسلَهُ معَ عبدٍ كانَ يملكُهُ، قائلاً لـــهُ: " خذْ هذا العقدَ، فادفعْهُ إلى رسولِ اللهِ (ص) وأنتَ له.".

فانطلقَ العبدُ إلى النّبيِّ (ص)، وقالَ لهُ ذلكَ، فقالَ لـــهُ النّبيُّ (ص): "انطلِقْ إلى فاطمةَ، فادفَعْ إليها العقدَ وأنتَ لها.".

فمضـــى العبدُ إلـــى البتـــولِ (ع)، وأخبرَها بالقصّةِ كاملـــةً، فأخذتِ العقـــدَ وأعتقتِ العبـــدَ! فضحِكَ المملـــوكُ، فقالـــتِ الزّهراءُ (ع): " مـــا يضحِكُكَ يا غـــلامُ؟". فقالَ: " أضحكَني عِظَـــمُ بَرَكةِ هذا العِقدِ. أشـــبعَ جائعاً، وكســـى عرياناً، وأغنى فقيراً، وأعتقَ عبداً، ورجعَ إلى ربِّهِ (صاحبه)!".



وكيفَ لا تكونُ الزّهراءُ البتولُ(ع) كذلكَ، وهيَ العابدةُ الّتي لم تعادلْها في الأرضِ امرأةٌ عبادةً وورعاً، إذ كانَ يراها ابنُها الإمامُ الحسنُ(ع) في محرابِها ليلةَ جُمعتِها، فلا تزالُ راكعةً ساجدةً حتّى يتّضحَ عمودُ الصّبحِ، تدعو للمؤمنينَ والمؤمناتِ وتسمّيهِم بأسمائِهِم، من دونِ أن تدعوَ لنفسِها بشيءٍ!

وقد سألَها الحسنُ(ع): " يا أمّاهُ، لمَ لا تدعينَ لنَفسِكِ كما تدعينَ لغيرِكِ؟".

فأجابَتْ: " يا بنيَّ! الجارُ ثمّ الدّارُ.".

وهيَ الّتي قالَ فيها رسولُ اللهِ (ص): " وأمّا ابنتي فاطمةُ، فإنّها سيّدةُ نساءِ العالمينَ منَ الأوّلينَ والآخرينَ، وهيَ بضعةٌ منّي، وهيَ نورُ عيني، وهيَ ثمرةُ فؤادي، وهي روحي الّتي بينَ جنبيَّ، وهي الحوراءُ الإنسيّةُ.



متى قامَتْ في محرابِها بينَ يديْ ربِّها -جلَّ جلالُهُ- زَهَرَ نورُها لملائكةِ السّماءِ كما يُزهِرُ نورُ الكواكبِ لأهلِ الأرضِ، ويقولُ اللهُ -عزَّ وجلَّ- لملائكتِهِ:(يا ملائكتي! أنظُروا إلى أَمَتي فاطمةَ، سيّدةِ إمائي، قائمةً بينَ يديَّ، ترتعدُ فرائصُها من خيفَتي، وقد أقبَلَتْ بقلبِها على عِبادتي، أُشْهِدُكُم أنّي قد آمَنْتُ شيعتَها منَ النّارِ.).".

أَمِنَ العجَبِ بعدَ هذا أن تكونَ الزّهراءُ(ع)، سيّدةَ نساءِ العالمينَ؟ وهيَ الّتي هابَتْ أنْ تناديَ أباها النّبيَّ(ص) بقولِها:"يا أبتِ!". بعدَ أن نزلتْ آيةُ:(لا تجعلوا دُعاءَ الرّسولِ بينَكُمْ كدُعاءِ بعضِكُمْ بعضاً).

فراحتْ تناديهِ:"يا رسولَ اللهِ".

فأعرضَ عنها النّبيُّ(ص) مرّةً أو اثنتينِ أو ثلاثةً، ثمَّ أقبلَ عليها وقالَ:" يا فاطمةُ! إنّها لم تنزِلْ فيكِ، ولا في أهلِكِ، ولا في نسلِكِ. أنتِ منّي وأنا منكِ، إنّما نزَلَتْ في أهلِ الجفاءِ والغِلظةِ من قُريشٍ أصحابِ البذخِ والكِبْرِ، قولي:" يا أبتِ.". فإنّها أحيى للقلبِ، وأرضى للرّبِّ.".



مضـــى الزّمـــانُ، واقتربَ موعدُ الفـــراقِ الّذي كانتِ الزّهراءُ(ع) تخشاهُ، إذِ اشتكى النّبيُّ(ص) من مرضٍ ألـمَّ بهِ، وذلكَ في أواخرِ شهرِ صفرٍ في السّنةِ الحاديةَ عشرةَ للهجرةِ.

واشتدَّ خوفُ الزّهراءِ(ع) بعدَ أنْ سمعَتْ أباها يُخبِرُها بأنّ أيّامَهُ في الدّنيا صارتْ معدودةً، وقد أخبَرَها صراحةً بما سيحِلُّ بِها من نوائبَ ومظالـمَ من بعدِهِ.

ولـمّـا حضرَتِ النّبـيَّ(ص) الـوفاةُ، بكى حتّى ابتلّتْ لحيتُهُ بالدّموعِ، فقيلَ لهُ: "يا رســولَ اللهِ! ما يُبكيكَ؟".

فقـــالَ(ص):" أبكي لذُرّيَّتي، ومـــا تصنَعُ بِهِم شِـــرارُ أُمّتي من بَعدي، كَأَنّي بِفاطِمَةَ ابْنَتي وقد ظُلِمَـــتْ بَعدي، وهـــيَ تُنادي: (يا أَبَتـــاهُ!). فلا يُعينُها أحدٌ من أُمَّتي.".

نعـــم، لَقَدْ كانَ النّبـــيُّ(ص) يرى ما لا يراهُ النّاسُ، ويعلمُ مـــا لا يعلمونَ، فكيفَ تغيّرَتْ حياةُ الزّهراءِ(ع) من حالٍ إلى حالٍ؟

